المرأة والأسرة

وأثر التعليم فى الفتاة العصرية

إذا تقهقر الاجتماع فى الأمة فأغلب الظن أن هذا التقهقر يصيب المرأة أكثر مما يصيب الرجل . واذا نهضت الأمة فان الرجل يجب أن يسبق المرأة ، وهذا هو الذى حدث فى مصر ، ولذلك فنحن محقون فى أن نطرب كلما سمعنا بتقدم المرأة .

لما أنشئت المدارس الابتدائية للبنات قبل نحو اربعين سنة فى الوجه القبلى تردد كثير من الآباء فى إرسال بناتهم اليها ، ولكن الحال الآن صارت عكس ذلك لأن ارغبة باتت عامة فى التعليم وعدد المتقدمات للامتحانات العمومية فى الشهادتين الابتدائية والثقافة العامة يزداد سنة بعد أخرى . كما أن الطالبات بكليات الجامعة وخاصة كلية الآداب يزداد عددهن وهن يتعلمن مع الطلبة دون الفصل بين الجنسين .

وكان أعظم ما بعث الفتيات من أبناء الفقراء المتوسطين على العناية بالمدارس تشجيع وزارة المعارف ومجالس المديريات لهن بالتعليم المجانى أو خفض المصروفات ثم فتح أبواب الارتزاق باحترافهن لمهنة التعليم التى كانت مقصورة قبل ذلك على الرجال . فان العامل الاقتصادى هنا قد فعل فعله .

وقد بلغ عدد الناجحات فى امتحان شهادة الثقافة العامة عام ١٩٣٨ : ٤٣٧ بنتا التحق فى الأغلب أكثر من نصفهن بكليات الجامعة ، كما نجح فى امتحان الشهادة الابتدائية ١٦٣٦ بنتا . ولهذا أثره العميق فى المجتمع المصرى . فان الزوجة المتعلمة التى عرفت الجامعة أو حصلت فقط على شهادة الثقافة العامة أو الشهادة الابتدائية لن تسمح لبناتها أن ينشأن فى الجهل التى عاشت فيه أمها أو جدتها . والأسرة التى تعرف أن ابنة جارتها قد حصلت على شهادة ما تبعث فى نفوس فتياتها غيرة شريفة للتحصيل والثقافة . وقل أن يرضى زوج فى هذه الأيام بزوجة غير متعلمة . والاعتقاد الشائع بين الأوربيين — كما يتضح هذا من مؤلفاتهم — هو أن تعدد الزوجات يتفشى فى مصر ، وان كل زوج مصرى يعيش فى حرم يؤدى عشرات الزوجات ولكن الحقائق الواقعة والأرقام تكذب هذا الوهم الشائع . ففى الإحصاء العام الذى أجرته الحكومة عام ١٩٣٨ يتضح أن المسلمين الذين تزوجوا أربع نساء بلغوا فى القطر كله ٨٩١ رجلا والذين تزوجوا ثلاث نساء بلغوا ٧٣١٨ رجلا والذين تزوجوا امرأتين

بلغوا ١١٤٢٧ رجلا . وعلى هذا سبق أن ٩٥١,٨ فى الألف من المتزوجين يتزوجون امرأة واحدة . فالزواج العام الذى يشيع بين الكثرة الساحقة هو بامرأة واحدة . وكلما ارتقت الأحوال الاقتصادية وانتشر التعليم وخاصة بين النساء قل تعدد الزوجات . والبيت المصرى فى المدن الكبرى لايختلف أقل اختلاف من البيت الأوربى وذلك أنه مشيد على النمط الأوربى بل ان الأثاث نفسه تؤخذ طرزه الجديدة عن لندن و باريس ، وألوان الطعام نفسها قد استحالت الى حد ما من الطهى الشرقى القديم الى الطهى الغربى الحديث . وتأثير القصص والمناظر السينمائية والاتصال الراديوفونى كلاهما يعمل للتوحيد لا فى زى المرأة فقط بل أيضا فى طراز الأثاث والذوق العام .

ونشاط المرأة الاجتماعى يبدو فى كثير من الجمعيات الجديدة التى أنشئ بعضها لترقية المرأة خاصة و بعضها للخدمة الاجتماعية عامة . وللسيدة هدى شعراوى الفضل الكبير فى حمل الحكومة على اصلاحات مختلفة تتعلق بحقوق الزوجة المطلقة إزاء الأطفال القصر . وقد عنيت وزارة المعارف أخيرا بإنشاء مدارس لتعليم الفتيات بعض الصناعات التى يستطعن الكسب منها .

و بجميع الأمارات تدل على أننا قد شرعنا فى السير فى طريق لن نرجع عنه هو العمل لتعليم المرأة والإيمان بانها ترقى بمقدار حصولها على الثقافة الحديثة. فمهمتنا فى الوقت الحاضر تنحصر فى التوجيه الحسن باختيار أفضل الأساليب للتعليم المثمر . وظروفنا ومجتمعنا كلاهما ينصب أمام أعيننا غايتين للتعليم ، هما التعليم التثقيفى والتعليم الحرفى . وواضح أن الفتاة الغنية أو حتى المتوسطة لا تنشد من التعليم حرفة تتكسب بها بعد خروجها من المدرسة أو الجامعة . لأن كل غايتها أن تتعلم لكى تكون زوجة متمدنة مثقفة تستطيع أن تزامل زوجها فى همومه العامة وتتفهم صعوبات عمله وتستطيع أن تدير بيتا عصريا وتربى أبناءها على الأساليب العصرية وتهيئ لهم المستقبل الحسن . وكل فتاة فى مصر يجب أن تجعل الزواج مهمتها الأولى والأمومة غايتها المثلى . والثقافة العامة هى خير ما يهيئ الفتاة لهذين الفرضين. ومعظم الطالبات فى كلية الآداب لا يقصدن من التعليم الجامعى سوى هذه الثقافة العامة التى تمتاز بها المرأة المتمدنة فى العصر الحاضر .

أما المرأة الفقيرة فتحتاج الى تعليم حرفى . وليس فى هذا القول ما ينافى تقاليدنا . لأن الزوجة الفقيرة كانت فى جميع عصورنا الماضية تساعد زوجها على الكسب . فقد كانت فى الحقل زارعة فالحة . وكانت فى البيت غازلة ناسجة . وهى كذلك الآن الى حد ما فى الأوساط الفقيرة، وعمل المرأة هذا وزيادة كسب زوجها منه، هما مايغريان الفلاح بتعدد الزوجات .

وقد تنبهت الحكومة الى ضرورة التعليم الحرفى فأوجدت مدارس التطريز للفقيرات كما أوجدت مدارس أخرى راقيـة لتخريج المعلمـات . والتعليم الروضى والابتدائى هو من مستلزمات المرأة الأوربية والأمريكية ويجب أن يكون كذلك فى مصر . ومهما يكن أحدنا جامدا كارها للتطورات العصرية فانه لا يسعه الا التسليم بضرورة تعليم المرأة الفقيرة تعليما حرفيا — ولو كان هـذا التعليم خدمة البيوت — يقيها الفساد والغواية بعد الترمل أو بعد الطلاق . بل لعل تعليم المرأة من أنجع الوسائل لتثبيت الأسرة بالإقلال من الطلاق .

ويبدو من وقت لآخر تأفف وتشاؤم بشأن حال المرأة المصرية ومستقبلها . وهؤلاء المتشائمون يكثرون من النقد وتعلو أصواتهم بحق أيام الاصطياف حين يجدون فى سلوك المرأة بعض ما ينافى الأخلاق العالية من الصون والاحتشام . وهم محقون فى هذا ولكنهم ينسون أنه لا يمكن للفتاة أن تهتك على الشواطئ إلا لأن هناك فتى أو فتيانا يشاركونها فى هذا التهتك ، فالتدهور الأخلاق هنا ليس مقصورا على جنس واحد ، وظننا أن الزمن وحده هو الذى سيعالج هذا التدهور ويعيد الينا وقارنا واحتشامنا السابقين وذلك عندما تألف الثقافة الحقة وتزول عنا هذه الجلبة التى أصبنا بها يوم انطلقنا من قيودنا القديمة إلى هذا التحرر الجرىء طفرة لم نكن مسلحين أزاءها بسلاح من التربية والأخلاق .

وإذا كانت هنـاك مسألة نسائية فهى ليست مسألة تعليم المرأة أو عدم تعليمها ولا هى الثقة بحريتها أو التوجس منها وإنما هى هذا الفرق العظيم بين المرأة الريفية التى لا تزال تنشأ فى الحجاب الصـارم وأحيانا يهمل تعليمها وبين المرأة المدنية التى أخذت بقسط عظيم من التعليم والحرية . فهما تختلفان اختلافا عظيما . وقد يحدث أن يتزوج ريفى بفتـاة تعلمت ونشأت فى المدينة فلا يثمر هـذا الزواج غير الشقاق . ومثل هـذا يحدث أيضا عندما يتزوج شاب من المدينة بفتاة ريفية . ونحن فى حاجة الى درس هذه المسألة الى جنب درسنا لتعدد الزوجات والاسراف فى الطلاق بين الأوساط الفقيرة .

شقاء الحكماء

إذا وَرَّثَ الجهال أبناءهم غنى وجاها ، فـأشقى بنى الحكماء

حفنى ناصف